نصيحة قاض لخليفة

للدكتور عبد العظيم شرف الدين

مدرس الشريعة الإسلامية

في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

_ *** _

حرص خلفاء المسلمين على تحري العدل في الرعية، وتعرف أحكام ا كي يطبقوها على المسلمين، كما حرص علماء المسلمين على بذل النصيحة لهؤلاء الخلفاء، يرون في هذا أداء أمانة نيطت في أعناقهم، وخير شاهد على ما نقول نصيحة القاضي " ابي يوسف " صاحب أبي حنيفة للخليفة العباسي " هارون الرشيد " ولهذه النصيحة قصة إليك تفصيلها:

أراد الخليفة " هارون الرشيد " رفع الظلم عن رعيته، وصلاح أمرهم، فطلب من " أبي يوسف " أن يضع له كتابا جامعا يعمل به في حياته الخراج والعشور والصدقات، وقد استجاب " أبو يوسف " لرغبة الخليفة، فأعد له كتابا يعد الأول من نوعه، رسم له فيه السياسة المالية للدولة، وهذا الكتاب هو كتاب " الخراج " والذي يلفت النظر في هذا الكتاب ما شاع في ثناياه من دعوة صاحبه الملحة الخليفة إلى تحري العدل، والعمل بكتاب ا وسنة رسوله، إلى جانب النصيحة التي جاءت في صدر الكتاب. وقد استغرقت هذه النصيحة عشرين صفحة، ضمنها " أبو يوسف " بيان حق الرعية على الراعي، كما بين له أن ا سبحانه وتعالى سائله عما استرعاه، وقد تكرر هذا في غير موطن:

فتراه أحيانا يقول له: " يا أمير المؤمنين، إن ا _ وله الحمد _ قد قلدك أمراً عظيما، ثوابه أعظم الثواب، وعقابه أشد العقاب، قلدك أمر هذه الأمة، فأصبحت وأمسيت، وأنت تبني لخلق كثير قد استرعاكهم ا، وائتمنك عليهم، وابتلاك بهم، وولاك أمرهم، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه ا.